تعمية الخطــاب في شعر المتنبي
(قصيدة واحرّ قلباه نموذجًا)

أميمة صبحي خليل علاء الدين*
osk00@fayoum.edu.eg

ملخص

قراءة الخطاب الشعري هي الخطوة المنهجية الصحيحة والمنطقية للشروع في تبني فرضية بحثية، ثم محاولة الوصول إلى صحتها أو خطئها من خلال المدونة الشعرية ذاتها، وتُعَدّ قراءة سياق الخطاب الشعري كذلك من متممات الخطوات الإجرائية والمنهجية للبحث؛ ذلك أن الأديب نتاج بيئته وعصره، ولا يمكن بحال أن نبتره أو نجتث ثقافته من تلك البيئة بكل مؤثراتها الثقافية والاجتماعية والسياسية.

حتمًا، لا يعني ذلك أن الناقد يَلزمه أن يدسّ أنف المؤثرات البيئية للمبدع في تفسير كل ظاهرة أدبية، بل ما أعنيه هو الإفادة من معطيات سياق الخطاب الشعري، بالقدر الذي يضيء المناطق المعتمة في ذلك الخطاب.

وتأسيسًا على ما سبق، كان من لازم الفائدة المنهجية أن نقف على سياق إنتاج قصيدة (وا حرّ قلباه) محل الدراسة، وأن نقارب بواعثها الظاهرة الواضحة، والخفية المضمرة، لأن ذلك من شأنه أن يبصّرنا بمواضع التعمية، فضلا عن استكناه استراتيجيات التعمية التي توسلها المتنبي في خطابه.

وقد انتهت الدراسة إلى أن استراتيجيات تعمية الخطاب تشكلت خلال وعي المتنبي بالكفاءات الذهنية والنفسية والثقافية لمتلقيه وللرسالة فضلا عن المتكلم، فكان منها:

١–استراتيجيات تحتكم إلى مرجعية المتكلم: نحو استراتيجية الاحتكام إلى القوة، واستراتيجية الاحتكام إلى الناس.

٢–استراتيجيات تحتكم إلى مرجعية المتلقي: مثل استراتيجية الاستمالة والاستقطاب العاطفي، واستراتيجية الثناء على المخاطَب لتؤدي وظيفتها مع المتلقي الأول (سيف الدولة).

* مدرس بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب جامعة الفيوم

أما المتلقي الثاني (الخصوم)، فقد اعتمدت تقنية التعمية على تشويه الخصم وتقبيح صورته، فكان منها استراتيجية الحجة الشخصية.

٣-استراتيجيات تحتكم إلى مرجعية الرسالة: وكانت استراتيجية الألفاظ المشحونة تجسيدا واضحا لهذا النمط من تقنيات التعمية.

كلمات مفتاحية: المتنبي – الخطاب – المغالطة

مدخل

تعد شخصية المتنبي وشعره من محفزات البحث والدراسة، فبالرغم مما سُطِر وحُبّر عن المتنبي، وما سُوّدت به الصحائف، فإن شعره وشخصه نبعان لا ينضبان لكل من أراد أن يروي صدى غُلّتَه منهما. ورِيُّ صدى غلة البحث لا يكون إلا بالتنقيب عما توارى عن أعين الباحثين، أو بقراءة خطاب المتنبي الشعري قراءة أخرى من زاوية لم يُلتفت إليها من قبل.

وإذا كانت قراءة الخطاب الشعري هي الخطوة المنهجية الصحيحة والمنطقية للشروع في تبني فرضية بحثية، ثم محاولة الوصول إلى صحتها أو خطئها من خلال المدونة الشعرية ذاتها، فإنني أجد أن قراءة سياق الخطاب الشعري كذلك يُعد من متممات الخطوات الإجرائية والمنهجية للبحث؛ ذلك أن الأديب نتاج بيئته وعصره، ولا يمكن بحال أن نبتره أو نجتث ثقافته من تلك البيئة بكل مؤثراتها الثقافية والاجتماعية والسياسية.

حتمًا، لا يعني ذلك أن الناقد يَلزمه أن يدسَّ أنف المؤثرات البيئية للمبدع في تفسير كل ظاهرة أدبية، بل ما أعنيه هو الإفادة من معطيات سياق الخطاب الشعري، بالقدر الذي يضيء المناطق المعتمة في ذلك الخطاب.

وتأسيسًا على ما سبق، كان من لازم الفائدة المنهجية أن نقف على سياق إنتاج قصيدة (وا حرّ قلباه) محل الدراسة، وأن نقارب بواعثها الظاهرة الواضحة، والخفية المضمرة، لأن ذلك من شأنه أن يبصّرنا

بمواضع التعمية، فضلا عن استكناه استراتيجيات التعمية التي توسلها المتنبي في خطابه.

ومن خلال هذه المقاربة السياقية ألفينا أن علاقة المتنبي بسيف الدولة لم تكن علاقة شاعر بأمير يملك المنح والمنع، بل كانت أواصر العلاقة بينهما قوية، وكادت أن تكون علاقة بين صديقين، تقاسما محمود الخصال والفضائل كالشاعرية والفروسية. وكما جنى المتنبي مكاسب مادية ومعنوية من جراء قربه من سيف الدولة، جنى الأخير كذلك مكاسب سياسية ممّن التف حوله من كبار المفكرين والشعراء البارزين، أمثال الشاعر أبو فراس الحمداني، والمتنبي، والفيلسوف الفارابي، والنحوي ابن خالويه؛ إذ ضمن من خلال شعرهم وقربهم منه شيوع ذكره ونفوذه في جميع أنحاء العالم الإسلامي، في حياته ومن بعد وفاته.

مادة الدراسة

اعتمدت الدراسة على شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط٢، ١٩٣٨، واتخذت قصيدة واحر قلباه منطلقا للدراسة.

هدف الدراسة ومنهجها

مقاربة الخطاب الشعري للمتنبي خلال قصيدته محل الدراسة (واحرّ قلباه)، بالاستعانة بآليات الحِجَاج ومسائله؛ نحو: نظرية المغالطة (التعمية)، التي هي من المسائل المهمة في الحجاج والبلاغة المعاصرة، ثم الكشف عن أهم استراتيجيات المغالطة أو التعمية في الخطاب الشعري.

الدراسات السابقة

حظي المتنبي باهتمام الدارسين والباحثين قديمًا وحديثًا، وقد تمركز هذا الاهتمام حول خطابه الشعري وما يكتنفه من تأويلات، وليس يخفى أن تلك المقاربات والدراسات قدمت لشعره باستعراض ترجمة للشاعر، تُظهر

خلالها صفاته الشخصية، وبيئته، وعلاقاته بالأمراء وأولي الأمر، بيد أن جميع تلك المقاربات لم تظهر بينها مقاربة تستهدف أسلوب المغالطة أو استراتيجيات التعمية التي استهدفتها هذه الورقة البحثية، وكان من تلك الدراسات القديمة على سبيل المثال:

- ابن جني (– ٣٩٢هـ) : الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، تحقيق: د. محسن فياض، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٧٣
- ابن سيده الأندلسي (– ٤٥٨هـ) : شرح المُشْكِل من شعر المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ط١
- القاضي الجرجاني (–٣٩١هـ): الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦ م
- الحاتمي (–٣٨٨هـ) : الرسالة الموضحة في سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره، تحقيق: محمد يوسف نجم، بيروت، دار بيروت، ١٩٦٥ م
- الثعالبي (–٤٢٩هـ): أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة الحسين التجارية،القاهرة، د.ط ، د.ت
- الصاحب بن عباد (–٣٨٥هـ): الأمثال السائرة من شعر المتنبي والروزنامجة، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٥ م

وغيرها الكثير من الدراسات.

أما الدراسات المعاصرة فهي كثيرة جدا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- منير سلطان: البديع في شعر المتنبي، منشأة المعارف، الأسكندرية، د.ط، ١٩٩٦ م
- زين كامل الخويسكي: الجملة الفعلية بسيطة وموسعة دراسة تطبيقية على شعر المتنبى، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ط١، ١٩٨٧م
- أيمن محمد ميدان: الحوار الأدبي بين المشرق والأندلس (المتنبي والمعري نموذجين) دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤ م
- لويس ماسينيون: المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام، ترجمة وتعليق ودراسة: إبراهيم عوض، القاهرة، د.ن، ط٢، ١٩٨٨م
- عبد العزيز الدسوقي: في عالم المتنبي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨ م
- إبراهيم السامرائي: في مجلس أبي الطيب المتنبي، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط١،١٩٩٣ م
- عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٤، ١٩٩٣م
- طه حسين: مع المتنبي، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت
- عبد الملك بومنجل: مماطلة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداها) عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م
- إبراهيم السامرائي: من معجم المتنبي (دراسة لغوية تاريخية)، دار الحرية، بغداد ، ١٩٧٧ م
- مي يوسف خليف: ميمية المتنبي (مجالات الإبداع وطبيعة المعالجة)، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٦م

مقدمة

لا تكتمل العملية الإبداعية دون اكتمال عناصر الإبداع الثلاثية: المرسل/ المبدع، والرسالة/ الخطاب، والمرسل إليه/ المتلقي. وقد أوْلت علوم البلاغة العربية عنايتها بهذا الثالوث؛ فإذا طالعنا مسائل علم المعاني، وقفنا على أضرب الخبر وكيفية تلونها وفق أغراض المتكلم من الخبر، مما نتج عنه ظهور مصطلحات بلاغية من نحو: خروج الكلام على مقتضى الظاهر، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، والالتفات، والإيجاز والإطناب والمساواة، وفي كل تلك الحالات، يراعي المخاطِب أحوال متلقيه، التي تستلزم مناسبتها لأغراض الخطاب وغايته.

وفي علم البيان، نجد عنايته بتنوع طرائق التعبير عن المعنى الواحد، فَنُلْفيهِ يبحث في المجاز والحقيقة، والتناوب والتنوع بينهما وفق الغرض من الخطاب وحالة المتلقي.

أما علم البديع، فقد شهد زخمًا مصطلحيًّا ذا صلة وثقى بالمتلقي، كما أن صلته لا تنفصم عراها عن غرض الخطاب.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن لنا أن نتصور مرحلة إنتاج الخطاب، وكأننا ولجنا عقل المخاطِب، فإذا به يتمثل فكرة أو معنى ما يروم لمتلقيه أن يعلمه، أو يتأثر به، أو بدرجة ما يغير قناعته حيال ذلك المعنى، وقد يتجاوز غرض المخاطِب تلك الأغراض، فيفكر في التعمية على المتلقي والتلاعب به، وإذا استقر الغرض في وعيه، بدأ يتوسل باللغة، وينتقي منها ما يتوافق وغرضه لفظًا وتركيبًا وصياغة، إذ يتحقق من خلالها غاية خطابه الصادق الحقيقيّ، أو خطابه المُعمّى.

واتصاف الخطاب بالصدق أو بالتعمية والتدليس، إنما مرده كيفية استغلال المخاطِب لحُجج الإقناع والتأثير، فإن أسّس خطابه على لغة غير

مراوِغة، أو غير مُلبِسة، أو لم يحاول تعمية المتلقي وتدليسه ومراوغته، فإن خطابه يغدو خطابا صادقا حقيقيا.

ضبط المصطلح

التعمية فن بلاغي قديم، ورد عند البلاغيين القدماء بمصطلحات متعددة، جمعتها جميعها وظيفة الإلباس على المتلقي وإيهامه، ومن هذه المصطلحات: التورية، والأسلوب الحكيم، والقول بالموجب، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، والتشكيك، وتجاهل العارف.

وثمة توافق بين معنى (التعمية) معجميًّا ومعناها اصطلاحيا، فقد ورد في لسان العرب: "وعَمِيَ عليه الأَمْرُ: الْتَبَس؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فعَمِيَتْ عليهمُ الأَنباء يومئذٍ﴾، والتَّعْمِيَةُ: أَنْ تُعَمِّيَ على الإِنْسانِ شيئا فتُلَبِّسَه عليه تَلْبيسا. وفي حديث الهجرة: لأُعَمِّيَنَّ على مَنْ وَرائي، من التَّعْمِيَة والإِخْفاء والتَّلْبِيسِ، حتى لا يَتبعَكُما أَحدٌ. وعَمَّيتُ معنى البيت تَعْمِية، ومنه المُعَمَّى من الشِّعْر..."[١].

كما ورد في المعاجم المعاصرة: "عمَّى يعمِّي، عَمِّ، تعميةً، فهو مُعمٍّ، والمفعول مُعمًّى، وعمَّى الشَّخصَ أعماه، أفقده بصرَه، صيَّره أعمى. عمَّى العقلَ والتَّفكيرَ: جعله غير قادر على التَّمييز والإدراك. وعمَّى عليه الكلامَ: أخفاه ولبَّسه وجعله غير واضح يَصعُب فهمُه وإدراكُه:- عمَّى عليه الفكرةَ / الأسلوبَ / النصّ / المعنى"[٢].

والتعمية في معناها المعجمي السابق، يجعلها على مستويين:

المستوى الأول: التعمية مقصود بها الانزياح الأسلوبي، الذي يهدف إلى ملاعبة عقل المتلقي، وحدوث لذته بالوصول إلى المعنى، ومن ثم " تتجاوز الدلالات الوضعية الثابتة للألفاظ، وتنحرف عما هو مألوف وشائع في اللغة دلاليا وتركيبيا"[٣]، وتكمن قيمته الفنية في اتساع دائرة التلقي والتأويل، وفق الكفاءة الذهنية والثقافية للمتلقي. ومن خلال قيمتها

الفنية تتحقق قيمتها الجمالية؛ إذ تعد التعمية ومرادفاتها المصطلحية من أهم منابع شعرية الخطاب وجماليته.

المستوى الثاني: فإنه يتحدد من اعتماد المخاطب على تركيب لغوي بهدف الإقناع، ولكنه يتعمّد (المخاطِب) أن يكون تركيبا لغويا خاطئا، لا يُدرك خطؤه إلا بعد تأمل وطول تدقيق، فيتجلى " الإبهام الذي يكتنف معنى الخطاب، والإبهام قد يكون ضمنيا - يخص المعنى الإقناعي الافتراضي- أو تركيبيًّا"[٤].

وبهذا المفهوم، نجد أنفسنا " أمام علاقة مشبوهة، يكون مصدرها الموضوع أو أحد الطرفين أو كلاهما، ليصبح الهدف في هذا المقام هو إقناع المخاطب بطرق تدليسية وتمويهية وتغليطية"[٥]، وبذلك تغدو التعمية وسيلة ناجعة من وسائل الإقناع، ففي الخطاب المعمّى يلجأ المخاطِب إلى أساليب تخليط المعنى، وإرباك المتلقي، لكنها في النهاية تعد نوعا من الممارسات " التواصلية التفاعلية التي تُمكّن المتلاعِب من السيطرة على الآخرين، وعادة ما تكون هذه السيطرة رغما عن إرادتهم أو ضد مصلحتهم"[٦]، لكنهم قد يفعلون ما يتوافق مع مصلحة المتلاعب أو المرواغ.

وإذا تساءلنا عن الدوافع التي تجعل المخاطِب يلجأ إلى بناء خطابٍ مُعمّى، وتُقصيه عن التوسل بالقياس الصحيح إلى التوسل بالقياس الفاسد، ألفيناها دوافع متعددة؛ منها:

- الخوف من العواقب.
- الحفاظ على المكانة الاجتماعية.
- تحقيق مكاسب مادية ومعنوية.
- إضمار العداء للآخر، ومحاولة تشويه صورته.
- عدم القدرة على التدليل في موقف ما بحُجج منطقية صحيحة.
- الطبع الشخصي للمخاطِب، فيكون ماكرا مراوغا في طبعه.

ولعل هذه الدوافع مجتمعة تجلت لنا من خلال مقاربة (قصيدة واحرّ قلباه) للمتنبي؛ فكانت باعثه الأول في تعمية خطابه، إذ كان المتنبي من دهائه " يعمد إلى بعض المعاني التي سُبق إليها، فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويعميها عن الناظر فيها ويُريغها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطن إلى أن غيره أبو عُذْر هذا المعنى، فيلجأ إلى التعمية والجَمْجَمَة والتعقيد والإبهام؛ لأن تلك طريقته..."[٧].

ولعل هذا ما أشار إليه حازم القرطاجني في منهاجه حين قارب مفهوما التمويهات والاستدراجات، فيقول: " إنما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنه حق بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له. والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يُحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما"[٨].

القصيدة

وَاحَرّ قَلْبَاهُ ممّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ	**وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ**
ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي	**وَتَدّعي حُبّ سَيفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ**
إنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ	**فَلَيْتَ أنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ**
قد زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ	**وَقد نَظَرْتُ إلَيْهِ وَالسّيُوفُ دَمُ**
فكانَ أحْسَنَ خَلقِ الله كُلّهِمِ	**وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ**
فَوْتُ العَدُوّ الذي يَمّمْتَهُ ظَفَرٌ	**في طَيّهِ أسَفٌ في طَيّهِ نِعَمُ**
قدْ ناب عَنكَ شدِيدُ الخوفِ واصْطَنعَتْ	**لَكَ المَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهُمُ**
أَلزَمتَ نَفسَكَ شَيئاً لَيسَ يَلزَمُها	**أَن لا يُوارِيَهُم أَرضٌ وَلا عَلَمُ**
أكُلّمَا رُمْتَ جَيْشاً فانْثَنَى هَرَبَا	**تَصَرّفَتْ بِكَ في آثَارِهِ الهِمَمُ**
عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ في كلّ مُعْتَرَكٍ	**وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عارٌ إذا انهَزَمُوا**

أمَـا تَـرَى ظَفَـراً حُلْـواً سِـوَى ظَفَـرٍ تَصـافَحَتْ فيـهِ بِـيضُ الهِنْـدِ وَاللِّمَـمُ
يـا أعـدَلَ النّـاسِ إلاّ فـي مُعـامَلَتي فيـكَ الخِصـامُ وَأنـتَ الخصْـمُ وَالحكَـمُ
أُعِيـذُها نَظَـراتٍ مِنْـكَ صـادِقَةً أن تحسَـبَ الشّـحمَ فـيمن شـحمهُ وَرَمُ
وَمَـا انْتِفَـاعُ أخـي الـدّنْيَا بِنَـاظِرِهِ إذا اسْـتَوَتْ عِنْـدَهُ الأنْـوارُ وَالظُّلَـمُ
سَـيعْلَمُ الجَمـعُ ممّـنْ ضَـمّ مَجلِسُـنا بـأنّني خَيـرُ مَـنْ تَسْـعَى بـهِ قَـدَمُ
أنَـا الـذي نَظَـرَ الأعْمَـى إلـى أدَبـي وَأسْـمَعَتْ كَلِمـاتي مَـنْ بـهِ صَـمَمُ
أنَـامُ مِـلْءَ جُفُـوني عَـنْ شَـوَارِدِهَا وَيَسْـهَرُ الخَلْـقُ جَرّاهَـا وَيخْتَصِـمُ
وَجاهِـلٍ مَـدّهُ فـي جَهْلِـهِ ضَـحِكي حَتـى أتَتْـه يَـدٌ فَرّاسَـةٌ وَفَـمُ
إذا رَأيْـتَ نُيُـوبَ اللّيْـثِ بـارِزَةً فَـلا تَظُـنّنّ أنّ اللّيْـثَ يَبْتَسِـمُ
وَمُهْجَـةٍ مُهْجَتـي مـن هَـمّ صَاحِبهـا أدرَكْتُهَـا بجَـوَادٍ ظَهْـرُه حَـرَمُ
رِجـلاهُ فـي الـرّكضِ رِجـلٌ وَاليـدانِ يَـدٌ وَفِعْلُـهُ مَـا تُريـدُ الكَـفُّ وَالقَـدَمُ
وَمُرْهَـفٍ سـرْتُ بـينَ الجَحْفَلَـينِ بـهِ حتـى ضَـرَبْتُ وَمَـوْجُ المَـوْتِ يَلْـتَطِمُ
الخَيْـلُ وَاللّيْـلُ وَالبَيْـداءُ تَعرِفُنـي وَالسّـيفُ وَالـرّمحُ والقرْطـاسُ وَالقَلَـمُ
صَـحِبْتُ فـي الفَلَـواتِ الـوَحشَ منفَـرِداً حتـى تَعَجّـبَ منـي القُـورُ وَالأكَـمُ
يَـا مَـنْ يَعِـزّ عَلَيْنَـا أنْ نُفَـارِقَهُمْ وِجـدانُنا كُـلَّ شـيءٍ بَعـدَكمْ عَـدَمُ
مَـا كـانَ أخلَقَنَـا مِـنكُمْ بتَكرِمَـةٍ لَـوْ أنّ أمْـرَكُمُ مِـن أمرِنَـا أمَـمُ
إنْ كـانَ سَـرّكُمُ مـا قـالَ حاسِـدُنَا فَمَـا لجُـرْحٍ إذا أرْضـاكُمُ ألَـمُ
وَبَيْنَنَـا لَـوْ رَعَيْـتُمْ ذاكَ مَعرِفَـةٌ إنّ المَعـارِفَ فـي أهْـلِ النُّهَـى ذِمَـمُ
كـم تَطْلُبُـونَ لَنَـا عَيْبـاً فيُعجِـزُكمْ وَيَكْـرَهُ الله مـا تَـأتُونَ وَالكَـرَمُ

مـا أبعـدَ العَيـبَ والنّقصـانَ مـنْ شـرَفي أنَـا الثّرَيّـا وَذانِ الشّـيبُ وَالهَـرَمُ
لَيْـتَ الغَمَـامَ الـذي عنـدي صَـواعِقُهُ يُـزِيلُهُنّ إلـى مَـنْ عِنْـدَهُ الـدِّيَمُ
أرَى النّـوَى يَقتَضِـيني كـلَّ مَرْحَلَـةٍ لا تَسْـتَقِلّ بهـا الوَخّـادَةُ الرُّسُـمُ
لَـئِنْ تَـرَكْنَ ضُـمَيراً عَـنْ مَيامِنِنـا لَيَحْـدُثَنّ لمَـنْ وَدّعْـتُهُمْ نَـدَمُ
إذا تَرَحّلْـتَ عـن قَـوْمٍ وَقَـد قَـدَرُوا أنْ لا تُفـارِقَهُمْ فـالرّاحِلونَ هُـمُ
شَـرُّ الـبِلادِ مَكـانٌ لا صَـديقَ بِـهِ وَشَـرُّ مـا يَكسِبُ الإنسانُ مـا يَصِـمُ
وَشَـرُّ مـا قَنّصَـتْهُ رَاحَتـي قَـنَصٌ شُـهْبُ البُـزاةِ سَـواءٌ فيـهِ والـرَّخَمُ
بـأيّ لَفْـظٍ تَقُـولُ الشّـعْرَ زِعْنِفَـةٌ تَجُـوزُ عِنـدَكَ لا عُـرْبٌ وَلا عَجَـمُ
هَـذا عِتابُـكَ إلاّ أنّـهُ مِقَـةٌ قـد ضُـمّنَ الـدُّرَّ إلاّ أنّـهُ كَلِـمُ

وهذه الورقة البحثية إذ تقارب الخطاب الشعري في قصيدة (وا حرّ قلباه)، وتقف على سياق إنتاجه، تتكشّف لها أنه خطاب متعدد الأغراض؛ فبعد أن شهدت علاقة المتنبي بسيف الدولة فتورا ملحوظًا كان إيذانًا برحيل المتنبي ومفارقته بلاط سيف الدولة، أنشد قصيدته (وا حرّ قلباه) في مجلس ضم الأمير سيف الدولة، كما ضم خصوم المتنبي وحساده الذين جدلوا فتيل الوقيعة بين المتنبي وسيف الدولة، فتجلّى في الخطاب أمشاج من الأغراض، بين عتاب واستعطاف ومدح لسيف الدولة، وبين فخر وافتخار بالذات، ثم بين هجو وازدراء للخصوم والحاسدين " فالشاعر يبدأ مستعطفا في الأبيات الثلاثة الأولى، ثم يمضي مادحًا في ثمانية أبيات، ثم ينتفخ مفتخرًا ومفاخرًا حتى لا يرى أحدًا فوقه في عشرة أبيات، ثم يعود إلى عتاب لاذع تشم فيه رائحة الهجاء ممتزجًا بفخر في سبعة أبيات، ثم يتحدث عن عزمه عن الرحيل حديثا لم يستطع فيه إخفاء رغبته في البقاء، ويصرح بذم حاسديه من الشعراء في الأبيات السبعة الأخيرة"[٩]، وتعدد أغراض الخطاب هنا معزوٌ إلى تعدد المخاطَبين واختلاف مقاماتهم، فلا يُخاطَب العامة خطاب الخاصة،

ولا يُخاطَب الخاصة بخطاب العامة، وهو ما أشار إليه الجاحظ في قوله:"... لا يُكلَّم سيدُ الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة؛ ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة..."[١٠] لأن ذلك جهلٌ بالمقامات، وخروج عن مقتضى الحال.

وعليه، نحن أمام مستويين من المتلقين:

١- متلقٍ في مقام أعلى من مقام المتكلم، وعلو مقامه أمر يقيني، وقد جسّد الأمير سيف الدولة الحمداني هذا المستوى.

٢- متلقٍ في مقام أدنى من مقام المتكلم، ودنو مقامه أمر ظنّي؛ أي في ظن المتكلم، ومثّل هذا المستوى خصوم المتنبي وحُسَّاده.

وقد بنى المتنبى خطابه المعمّى من خلال جملة من استراتيجيات[١١] التعمية، نذكر منها ما يلي:

١- استراتيجية الاستمالة والاستقطاب العاطفي:

تعد هذه الاستراتيجية من أكثر أدوات المراوغ والمُعمِّي استخداما، إذ يلجأ من خلالها إلى الاستقطاب العاطفي عوضا عن الاستقطاب الفكري المنطقي، لأن الاستدراج العاطفي يحول أحيانا دون الالتفات إلى ضرورة إعمال العقل. وقد تمثلت هذه الاستراتيجية في البيت الأول من القصيدة:

وَاحَـرّ قَلْبـاهُ ممّـنْ قَلْبُـهُ شَـبِمُ وَمَـنْ بجِسْـمي وَحـالي عِنـدَهُ سَـقَمُ

وقد اتكأ المتنبي في تأسيس خطابه على صورتين إحداهما حسية والأخرى معنوية، أما (الصورة الحسية) فصورة جسده الذي كساه الذبول والنحول، وأما (الصورة المعنوية) فقلبه المحترق من لوعة حبه لسيف الدولة، فإذا تخيله المتلقي بهذه الصورة البائسة رقّ لحاله، وشنّف آذانه لسماع قوله.

وحتى تستقر هذه الصورة البائسة في نفس المتلقي، نجد الشاعر يحاول استثمار الميل العاطفي من قبل المتلقي (سيف الدولة)، فيعمد إلى رسم صورة معنوية مقابلة لصورته، فقلب سيف الدولة (شبم) بارد مطمئن لا لوعة فيه ولا حُرقة كحال قلب المتنبي.

وبفحص عناصر الصورة التي جسدها الشاعر للوقوف على المفارقة بين حال المحب (الشاعر) وحال المحبوب (سيف الدولة)، نلحظ أنه عمّى وشفّر بعض عناصر الصورة؛ لأنه لا يقنع بمتلقي خامل الذهن يتواكل على مبدعه فيتلقّف منه معانٍ ودلالات جاهزة، بل يريد متلقيًا متفاعلًا مشاركًا في إنتاج الدلالة والخطاب، لذلك ألفينا شاعرنا يختزل عناصر الصورة التقابلية إلى أربعة عناصر، حتى يُجبر المتلقي على إعمال كفاءته الذهنية والمنطقية والانطلاق من المقدمات والمعطيات لاستنتاج العناصر المشفّرة. وتوضيح ذلك في الشكل التالي:

المتنبي	**سيف الدولة**
قلب محترق من اللوعة	قلب بارد لا يحفل بمحبّه
جسم ناحل عليل	عنصر معمّى (مشفّر)
حال سقيم حزين	عنصر معمّى (مشفّر)

وإذا خلص المتلقي الفعلي (سيف الدولة)، أو المتلقي الضمني (عموم المتلقين) إلى أن احتراق القلب وحزنه يَؤُولُ إلى اعتلال الجسد وذبوله، وسَقَم الحال، فإنه سوف يؤسس على ذلك منطقه في فك شفرة العناصر المعمّاة في الصورة، ويربط السبب بالمسبَّب، والمقدمة بالنتيجة، فتكتمل عناصر الصورة التقابلية في ذهنه وتكون كما يلي:

المتنبي	**سيف الدولة**
قلب محترق من اللوعة	قلب بارد لا يحفل بمحبّه
جسم ناحل عليل	جسد صحيح معافى
حال سقيم حزين	حال حسنة سعيدة

ثم تظهر تعمية الخطاب بالاستقطاب العاطفي تارة أخرى في قوله:

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ

مَا كانَ أخلَقَنَا مِنكُمْ بتَكرِمَةٍ لَوْ أنّ أمْرَكُمُ مِن أمرِنَا أمَمُ

إنْ كانَ سَرّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ ألَمُ

وتتجلى تقنية الاستقطاب العاطفي من خلال طرح النتيجة التي ساقها في قوله: (يا من يعز علينا...) فهي تحمل دلالة الفراق الاضطراري، الذي يحتاج منه إلى سوق مبررات الفراق ودوافعه العاطفية؛ ثم يُحكِم بناء خطابه المعمّى، إذ يلجأ إلى محاولة تأنيبٍ خفي لسيف الدولة، ودفعه إلى إعادة تقييم الأمور ووضعها في مواضعها الصحيحة. وهذه الدوافع هي:

- عدم تقدير سيف الدولة لحب المتنبي حق التقدير، ومن ثم عدم منحه المكانة اللائقة به.
- تجاوب سيف الدولة مع أقوال الوشاة والحاسدين، ورضاه عنها، وقبوله لها.

إذا كانت مخاطبة العواطف من الأمور التي يُستحسن فيها تلبية المخاطب واستجابته لها، فإنها تُستحسن في مقاماتها المشروعة، لكنها لا تُقبل في مقام التدليس على المتلقين، فتكون بديلا عن الحُجة الأصلية.

فإذا فتشنا في عُمق بنية تلك الأبيات، وقفنا على أن الدوافع الحقيقية دون مواربة أو مراوغة تكمن في رغبة المتنبي في مواجهة سيف الدولة بأخطائه التي ارتكبها عمدا أو عن غير عمد؛ فهو بخيل في عطائه المادي والمعنوي، فضلا عن كونه غير واعٍ لحيل الوشاة في إفساد علاقته بالمتنبي.

ولعل شاعرنا قد خفّف – نسبيا – من مراوغته وتعمية خطابه، فكشف عن صريح المعنى في البيت الأخير بقوله:

هَذا عِتابُكَ إلاّ أنّهُ مِقَةٌ قد ضُمّنَ الدُّرَّ إلاّ أنّهُ كَلِمُ

فهو يصرح أن ما سبق في خطابه عتاب موجّه لسيف الدولة ولكنه عتاب المحبّ للمحبوب.

٢- استراتيجية الحُجة الشخصية

هي تقنية يعمد فيها المراوغ " إلى الطعن في شخص القائل بدلا من تفنيد قوله، أو قتل الرسول بدلا من تفنيد الرسالة، إن ما يحدد قيمة صدق عبارة، وما يحدد صواب حجة، هو في عامة الأحوال أمر لا علاقة له بقائل العبارة أو الحجة من حيث شخصيته ودوافعه وسيكولوجيته"[١٢]، ولكن المخاطِب يجد في هذه الاستراتيجية مسلكا سهلا للطعن في شخص الخصم والنيل منه دون المساس بحُجة الخصم وتفنيدها.

ولأن خطاب المتنبي قد أُسّس في معظمه على خلل التقييم الذي وقع فيه سيف الدولة؛ إذ منح مَن لا يستحق (خصوم المتنبي)، ومنع مَن يستحق (المتنبي)، فحسب هذا الظلم أن يدفع المتنبي دفعا إلى تجريح خصومه، وادعاء عدم شاعريتهم؛ فهم ليسوا أرباب بيان وفصاحة إن كانوا من العرب، ولا يُفهم من شعرهم شيئا إن كانوا من العجم:

بأيّ لَفْظٍ تَقُولُ الشّعْرَ زِعْنِفَةٌ تَجُوزُ عِندَكَ لا عُرْبٌ وَلا عَجَمُ

لقد حاول المتنبي الاستفادة من مختلف أنواع المعلومات التي يمكن معالجتها لخدمة أهدافه في كسب معركته مع خصومه، وكان هدفه الأكبر من هذه المعالجة المعلوماتية تحقيق أكبر قدر من الفعالية فى بناء التمثيل العقلى[١٣]، تمثيلا تتحول فيه الإشاريات اللغوية إلى تصورات ذهنية يكون من خلالها البناء المعرفي للمتلقي، وكأنه بهذا "يضع بين كفتي الميزان دليلا ماديا ملموسا للمقارنة،... يضع شعره في مقابل شعر هؤلاء الأدعياء – من وجهة نظره – لعل تلك المقارنة تجدي مع سيف الدولة"[١٤]، وهذا ما ألحَ على تأكيده – في غير هذه القصيدة – من خلال قوله[١٥]:

تُطيعُ الحاسدين وأنتَ مَرءٌ جُعِلْتُ فداءَه وهُمْ فِدَائِي

وهــاجي نفسِــه مَــن لــم يُميِّــز   كلامــي مــن كلامهـم الهــراء

فهو إذ يُنكر عليهم شاعريتهم، ويشكك في قدراتهم وكفاءتهم دون تفنيدٍ لحجته وقوله، يعيب على سيف الدولة – ضمنيا- قبوله لقولهم الغث الذي لا هو بالشعر ولا هو بالنثر.

٣- استراتيجية الثناء على المخاطَب:

لعل تقنية مدح سيف الدولة وإثبات كفاءته القتالية والحربية، من التقنيات التي عضّد بها المتنبي تعمية خطابه مع تقنية الاستمالة والاستقطاب العاطفي، وقد ظهرت قصديّته من هذا التضافر التقني بينهما من خلال بناء خطابه المعمّى، فجاءت الأبيات التي توسل فيها بهذه التقنية تالية للأبيات التي توسل فيها باستراتيجية الاستقطاب العاطفي:

قــد زُرْتُــهُ وَسُــيُوفُ الهِنْــدِ مُغْمَــدَةٌ   وَقــد نَظَــرْتُ إلَيْــهِ وَالسّــيُوفُ دَمُ

فكــانَ أحْسَــنَ خَلْــقِ اللهِ كُلّهِــمِ   وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ

فَــوْتُ العَــدُوّ الــذي يَمّمْتَــهُ ظَفَــرٌ   فــي طَيّــهِ أسَــفٌ فــي طَيّــهِ نِعَــمُ

قدْ نـاب عَنـكَ شَدِيدُ الخَوفِ واصْطَنَعَتْ   لَــكَ المَهابَــةُ مــا لا تَصْــنَعُ الــبُهُمُ

أَلزَمــتَ نَفسَــكَ شَــيئًا لَــيسَ يَلزَمُهــا   أَن لا يُــــواريَهُم أَرضٌ وَلا عَلَــــمُ

أكُلّمَــا رُمْــتَ جَيْشًــا فــانْثَنَى هَرَبًــا   تَصَــرّفَتْ بِــكَ فــي آثَــارِهِ الهِمَــمُ

عَلَيْــكَ هَــزْمُهُمُ فــي كــلّ مُعْتَــرَكٍ   وَمَــا عَلَيْــكَ بهِــمْ عــارٌ إذا انهَزَمُــوا

أمَــا تَــرَى ظَفَــرًا حُلْــوًا سِــوَى ظَفَــرٍ   تَصــافَحَتْ فيــهِ بِــيضُ الهِنْــدِ وَاللِّمَــمُ

إن من أهم قواعد الخطاب التواصلي الناجع أن يكون المخاطِب على دراية ومعرفة جيدة بطبيعة المخاطَب ومهاراته، سيما إذا كان الخطاب من الأدنى

اجتماعيا (المتنبي) إلى الأعلى اجتماعيا (سيف الدولة)، والأول يرغب في عطايا الأخير، فيكون لزاما عليه أن يستثمر هذه المعرفة، وأن يوظفها جيدا للحصول على مبتغاه ومراده.

وهذا ما وعاه شاعرنا المتنبي، إذ أطرى على مخاطَبه بما هو أهلٌ له، فأثبت له كفاءته الحربية ضد أعداء ديار الإسلام من الروم، من بسالة وشجاعة في ملاحقتهم، تصل إلى حد عدم شعور سيف الدولة بالظفر والانتصار إلا بعد أن يقضوا نحبهم، وتتفرق أشلاؤهم في كل مكان.

ولا تكمن المراوغة والتعمية في هذه الاستراتيجية إذا كانت لتحقيق أغراض مشروعة، أما أن توظّف من قبل المخاطِب لتكون مطية له وجسرا لتحقيق أغراض أخرى، فهذا ما ينحو بها نحو تعمية الخطاب عن صريح مقصوده.

٤- استراتيجية الاحتكام إلى القوة:

تعتمد هذه الاستراتيجية "على فكرة (القوة تصنع الحق) وهي مغالطة لأن التهديد يعمل على مستوى دافعي مغاير لمستوى القناعة الفكرية، بوسعك أن تفرض السلوك القويم بالقوة، ولكن ليس بوسع أحد قط أن يفرض الرأي العقلي بالقوة"[١٦]، فهي ترتكز على التهديد والوعيد لإثبات الدعوى.

وغالبا ما يلجأ صانع الخطاب المعمّى إلى هذه الاستراتيجية حين يكون واثقا من قوته وسلطانه، أو من مهارته وكفاءته في أمرٍ لا يماثله خصمه فيه مهارة وكفاءة، فيروم إلى إرهابه، وتجميد قدرته العقلية على تفنيد حُججه، لذا نذكره يقول[١٧]:

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبيهي بِمَا وَكَأَنّه فَمَا أَحَدٌ فَوقِي ولا أَحَدٌ مِثْلي

والمتنبي امتلك القوتين؛ قوة السيف وقوة الكلمة، أما قوة السيف فقد سمح له قربه من سيف الدولة أن يخلّد حروبه ضد الروم، وقد شارك المتنبي في بعض تلك الحروب.

وأما قوة الكلمة فمعلوم أن شهرة المتنبي ضربت الآفاق في براعته الشعرية، وجودة قريحته، إلى الحد الذي أوغر منه قلوب حساده من الشعراء، فمكروا به عند سيف الدولة وأذكَوْا نار الفتنة والوقيعة بينهما، لذا حاول المتنبي في خطابه أن يُعمّي ضعفه عن خصومه، وأن يقذف في قلوبهم الرعب من قوة بطشه، وإن بدا لهم حليما، فإن حلمه لن يطول:

وَجاهِلٍ مَدّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي حَتى أتَتْه يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ

إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ

ويقول أيضا:

صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِدًا حتى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأكَمُ

فحاله مع خصومه وإمهاله لهم، مثل حال الليث في إمهاله فريستَه اللحظة المناسبة للنيل منها، فإذا حانت تلك اللحظة كشّر عن أنيابه، وانقض عليها.

٥- استراتيجية الاحتكام إلى عامة الناس

تتضمن هذه الاستراتيجية " الاحتكام إلى الناس بدلًا من الاحتكام الى العقل"[١٨]؛ إذ يرى المخاطِب أن اعتقاد الناس في أمر ما أو إجماعهم على ذلك الأمر يُعد مدعاة إلى تصديقه والقول بصحته.

فهو لا يستند إلى الحُجج المنطقية التي يتوصل المتلقي إلى نتيجة مقبولة من خلال علاقاتها وترابطاتها، بل يرتكز المخاطِب على انصياع المتلقي لضغط قبول الأغلبية لرأي معين، فيتبنى بدوره رأي الأغلبية أيضًا:

أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ

قضية البيت الأساسية هي افتخار المتنبي بشاعريته التي تفوق غيره من الشعراء، ومن سبل الإقناع الحقيقية أن يشرع في تفنيد مواطن قوة شعره، وفي تعلة افتخاره بشعره، لكنه يلجأ إلى تعمية خطابه، ويراوغ في عرض المبررات التي جعلت

منه شاعرا فذّا، فيلجأ إلى مرجعية الاحتكام إلى رأي الناس في شعره، ومجادلتهم ومناقشتهم في دلالات أشعاره.

وقد يعدل المخاطِب في تعميته للخطاب عن الاحتكام للناس، ويلجأ إلى الاحتكام لرأي النخبة والصفوة، وهي تقنية تتشارك مع تقنية الاحتكام للعامة في أن كليهما لا يُستدل منهما على صدق القضية بالعقل والمنطق.

وظهرت استراتيجية الاحتكام لرأي النخبة في خطاب المتنبي لسيف الدولة إذ قال:

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ معرِفَةٌ إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ

فأهل النهى والألباب هم أهل العقل والحكمة، صوتهم مسموعٌ، وكلامهم مصدق، والاحتكام إلى المصدّق يُصدّق.

وحين وجد المتنبي أن خطاب العاطفة لم يكن شفيعا له بما يكفي عند سيف الدولة – أقصد إظهار حبه له– قرر التوسل بخطاب العقل، فقال له: "إن لم يجمعنا الحب فقد جمعتنا المعرفة، وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها"[١٩].

إن السياق هو الحد الفاصل بين الخطاب غير المعمّى (المشروع) والخطاب المعمّى (غير المشروع)، "فمن الممكن أن تؤدي رسالة معينة دورا مهما في التلاعب ببعض المتلقين لها، ولكنها لا تستطيع أن تؤدي الدور نفسه مع متلقين آخرين، وربما يكون المتلقون أنفسهم عرضة للتلاعب بمرورهم في ظروف مختلفة وحالات عقلية معينة"[٢٠].

٦– استراتيجية الألفاظ المشحونة

مقصودها أن المخاطِب المراوغ يعتمد على الظلال الانفعالية التي تحيط باللفظة، فتساعد على عرقلة التفكير المنطقي وتشويشه، فاللغة "المشحونة تنطوي دائما على أن تصادر المطلوب(*)؛ لأنها تفترض مسبقا حكما تقويميا لم تتم البرهنة عليه بعد،... إنها تدسُّ مواقف انفعالية في داخل العبارة التي تحملها، وهذه المواقف

ليست جزءًا من الحُجّة، وإنما جرى استدعاؤها على نحو غير مشروع لكي تؤتي أثرا ما كان للحجة أن تؤتيه بمفردها"[٢١]، فالاعتماد على تلوين اللفظ وتحميله بالشحنة العاطفية التي تتناسب وأغراض الخطاب المعمّى، يعد من أكثر الاستراتيجيات شيوعًا في الخطاب المعمّى وغير المعمّى أيضا.

وقد حرص المتنبي في تلاعبه بالخطاب على تلوين ألفاظه بأغراضه؛ لكي يحدث تأثيره في المتلقي بالإقناع أو الرهبة أو الشفقة أو غيرها من التأثيرات التي يستمدها المتلقي من ذاكرته المعجمية واللغوية التي تعمل على معالجة ظلال اللفظ بصورة فورية سريعة، فتحدث له الاستجابة المطلوبة من المخاطِب.

وقد شهدت القصيدة زخما من الألفاظ المشحونة التي تحقق غايات الخطاب، وكان توسل المتنبي بهذه الاستراتيجية تدعيمًا وتقوية لاستراتيجيات أخرى توسل بها في بناء خطابه المعمّى.

فمنها مثلا ما حمل دلالة التشكيك في نوايا الخصوم، نحو لفظة (**تدّعي**):

مـا لـي أُكَـتِّمُ حُبّـا قَـدْ بَـرَى جَسَـدي   وَتَـدّعي حُـبّ سَـيفِ الدّوْلـةِ الأُمَـمُ

فهذه اللفظة تحمل ضمنيا دلالة زعم الخصوم بحبهم لسيف الدولة، وفي الوقت ذاته تم شحنها بالمصادرة على المطلوب؛ أي الإقرار بسوء نواياهم وكذبهم.

وفي مقابلها لفظة (**أكتّم**) التي تم شحنها بدلالة المبالغة في كتمان صادق الحب، فضلا عن شحنها بدلالة تضمينية؛ هي الإقرار بصدق نيته.

وقد يحمل اللفظ ظلالا شرعية، فيكون في سياقه حجاجًا بالسلطة الدينية، نحو توسل المتنبي بلفظة (**الله**) التي أسندها للفظة (**يكره**)، فليس من ريب أن إسناد الفعل (**يكره**) للفظ الجلالة (**الله**) يضفي إدانة للفعل، ويوجّه أيدولوجية المتلقي (سيف الدولة) إلى تغيير فعلته – محاولته في التفتيش عن عيوب المتنبي– التي يكرهها **الله** / **سلطة دينية**، فضلا عن كُره **الكرم** / **سلطة أخلاقية**، فيقول:

كـم تَطْلُبُـونَ لَنَـا عَيْبـاً فيُعجِـزُكمْ   وَيَكْـرَهُ الله مـا تَـأتُونَ وَالكَـرَمُ

وإذا جاءت الوقيعة بين سيف الدولة والمتنبي نتاجًا لمؤامرة ووشاية من الخصوم، فإن توجيه المتلقي (سيف الدولة) نحو بغضهم واحتقارهم، وتفسير أفعالهم يحتاج وفق بناء الخطاب إلى لفظ مشحون بدلالة البغض والكراهية. وهذا ما يحققه الدال **(حاسدنا)** ولعل إضافته إلى الضمير **(نا)** يساهم في تأطير المربع الأيدولوجي "تقديم النفس إيجابا وتقديم الآخرين سلبا"[٢٢]، مما يؤدي إلى عرض ما يكون في صالح المخاطِب نحو توسله بالدالين **(جرح)**، و**(ألم)**، ويكون ضد مصلحة الخصوم في الآن ذاته. وهذا ما نستدل عليه من قوله:

إنْ كانَ سَرّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ ألَمُ

ولعل هذه الدلالة التوجيهية للمتلقي (سيف الدولة) لبغض الخصوم، والتشكيك دائما في نواياهم، كانت الباعث الأول لتوظيف استراتيجية شحن الدوال بما يحقق هذه الغاية، فتطالعنا لفظة **(صادقة)** في قوله:

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ

بما تحمله من دلالة النصح والإرشاد والتوجيه لأن تكون نظرات سيف الدولة صادقة، لا تخطئه في الحُكم على ما تراه، فلا تنخدع بالورم وتظنه شحما.

الخاتمة

تشكلت استراتيجيات تعمية الخطاب من خلال وعي المتنبي بالكفاءات الذهنية والنفسية والثقافية لمتلقيه وللرسالة فضلا عن المتكلم، فكان منها:

١-استراتيجيات تحتكم إلى مرجعية المتكلم:

وقد تمثل هذا اللون في كل استراتيجية احتكم فيها إلى نفسه، نحو استراتيجية الاحتكام إلى القوة، واستراتيجية الاحتكام إلى الناس.

٢-استراتيجيات تحتكم إلى مرجعية المتلقي:

المتلقي في الخطاب نوعان؛ متلقٍ في مقام أعلى من مقام المتكلم (سيف الدولة)، ومتلقٍ في مقام أدنى من مقام المتكلم (خصوم المتنبي)، وقد راعى في تأسيس خطابه المعمّى، أن يتلون بتلون المتلقي ومقامه، فجاءت استراتيجية الاستمالة والاستقطاب العاطفي، واستراتيجية الثناء على المخاطَب لتؤدي وظيفتها مع المتلقي الأول (سيف الدولة).

أما المتلقي الثاني (الخصوم)، فقد اعتمدت تقنية التعمية على تشويه الخصم وتقبيح صورته، فكان منها استراتيجية الحجة الشخصية.

٣- استراتيجيات تحتكم إلى مرجعية الرسالة:

من خلالها تؤدي اللغة دورا بارزا في توجيه مشاعر المتلقي لتحقيق أغراض المراوغ من خطابه، وكانت استراتيجية الألفاظ المشحونة تجسيدا واضحا لهذا النمط من تقنيات التعمية.

الهوامش والإحالات

١ ابن منظور: لسان العرب، مادة (ع م ي)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ١٠٠.

٢ أحمد مختار عمر: اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، ج٢، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٥٥٩.

٣ ألفت كمال الروبي: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي إلى ابن رشد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٨١.

٤ يوسف العبقري: الإقناع والمغالطة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، العدد التاسع، ١٩٨٧. ص ٤.

٥ حسان الباهي: الحجاج (مفهومه ومجالاته)، تهافت الاستدلال، ج ٣، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٠، ص ٢٥٦.

٦ فان دايك: الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٤، ص٤٣٠.

٧ شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط٢، ١٩٣٨، ص ١٠.

٨ حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ط، ١٩٦٦، ص ٦٣.

٩ عيد بلبع: استنطاق النص، دار الوفاء، مصر، ط٢، ١٩٩٩، ص ٥٣.

١٠ الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ط٧، ١٩٩٨، ص٩٢.

١١ الاستراتيجية هي: " عملية تنظيم عملي يُخضِع لها المتكلم خطابه راصدا بواسطتها وسائل مختلفة لخدمة غايات معينة، فتكون تبعا

لذلك عملية واعية خطط لها المتكلم بشكل دقيق، وباختيار موجه تحكمه نتائج الخطاب" سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة)، بنيته وأساليبه، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨، ص ٨٧.

١٢ عادل مصطفى: المغالطات المنطقية، (طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧ ص ٦٩.

13 Teun A.van Dijk, Walter Kintsch, (1983): Strategies of Discourse Comprehension, New York, Academic Press, p 18.

١٤ عيد بلبع: استنطاق النص، ص ٦٤.

١٥ ديوان المتنبي: شرح عبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط٢، ١٩٣٨، ص ١١٨.

١٦ عادل مصطفى: المغالطات المنطقية، ص ١١٢.

١٧ ديوان المتنبي: شرح البرقوقي، ص ٩٣٠.

١٨ عادل مصطفى: المغالطات المنطقية، ص ٩٨.

١٩ د. عيد بلبع: استنطاق النص، ص ٧٨.

٢٠ فان دايك: الخطاب والسلطة، ص ٤٣٢.

(*) المقصود بالمصادرة على المطلوب: وضع النتيجة مكان المقدمة، واعتبارها دليل إثبات أو نفي في حين أنها في الأصل قضية تحتاج إلى إثباتها أو نفيها. ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، ص ٢٥.

٢١ عادل مصطفى: المغالطات المنطقية، ص ١٢٦.

٢٢ فان دايك: الخطاب والسلطة، ص ٤٥٩.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- ديوان المتنبي: شرح عبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط٢، ١٩٣٨

ثانيا: المراجع

- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، ج ٢، ط١، ٢٠٠٨
- ألفت كمال الروبي: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي إلى ابن رشد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤
- الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ، الخانجي، القاهرة، ج ١، ط ٧، ١٩٩٨
- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ط ، ١٩٦٦
- حسان الباهي : الحجاج (مفهومه ومجالاته)، تهافت الاستدلال، ج٣، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط ١، ٢٠١٠
- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة)، بنيته وأساليبه، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١ ، ٢٠٠٨
- عادل مصطفى : المغالطات المنطقية (طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧
- عيد بلبع : استنطاق النص، دار الوفاء، مصر، ط ٢، ١٩٩٩
- فان دايك: الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤

– ابـن منظـور: لسـان العـرب، مـادة (ع م ي) ، دار صـادر، بيـروت ، ط١، ١٩٩٠

– يوسـف العبقـري: الإقنـاع والمغالطـة، مجلـة كليـة الآداب والعلـوم الإنسانية، المغرب، العدد التاسع، ١٩٨٧

ثالثا : المراجع الأجنبية

–Teun A.van Dijk, Walter Kintsch, (1983) : Strategies of Discourse Comprehension, New York, Academic Press.

Abstract

Reading the poetic discourse is the correct and logical methodological step to initiate the adoption of a research hypothesis, and then try to reach its correctness or error through the poetic code itself. Reading the context of the poetic discourse is also one of the complements of the procedural and methodological steps of research. This is because the writer is a product of his environment and his time, and we cannot under any circumstances extirpate him or his culture from that environment with all its cultural, social and political influences.

Certainly, this does not mean that the critic must insert the environmental influences of the creator into the interpretation of every literary phenomenon. Rather, what I mean is to benefit from the context of the poetic discourse, to the extent that it illuminates the dark areas in that discourse.

Based on the foregoing, it was necessary for the methodological benefit to stand on the context of the production of the poem "Wa Harr Qalba" under study, and to approach its apparent apparent and hidden motives, because this would enlighten us about the places of blinding, as well as the ambiguity strategies that Al-Mutanabbi invoked. in his speech.

The study concluded that discourse blinding strategies were formed during Al-Mutanabbi's awareness of the mental, psychological and cultural competencies of the recipient and the message, as well as the speaker.

1. Strategies that appeal to the speaker's reference: Towards the strategy of appealing to force, and the strategy of appealing to people.
2. Strategies that appeal to the reference of the recipient: such as the strategy of grooming and emotional polarization, and the strategy of praising the addressee to perform its function with the first recipient (Saif al-Dawla). As for the second recipient (the opponents), the cryptography technique relied on distorting the opponent and making his image ugly, and one of them was the strategy of personal argument.
3. Strategies that appeal to the message reference: The charged words strategy was a clear embodiment of this type of cryptography techniques.